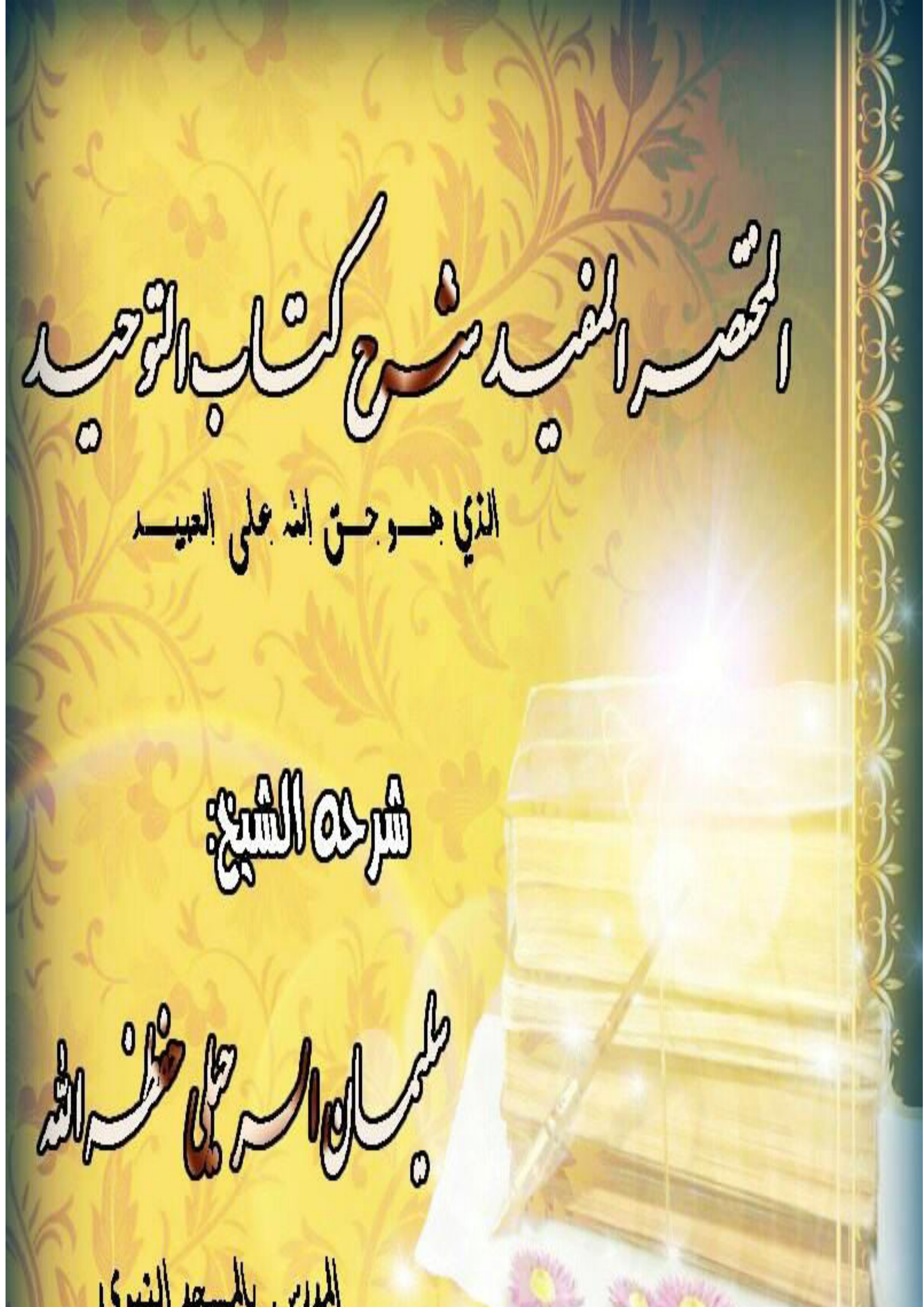

المختصر المفيد شرح كتاب التوحيد
الذي هو حق الله على العبيد
شرحه الشيخ:
سليمان الرحيلي حفظه الله
المدرس بالمسجد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك القدوس السلام ذي الجلال والإكرام، أكرمنا بدين الإسلام، وأكمل لنا الدين، وأتمَّ علينا الإنعام، وجعل ثواب الحج تكفير الخطايا والآثام.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له المعبود على الدوام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله النبي المختار الإمام، بعثه الله رحمة للأنام، من التزم سنته اهتدى واستقام، ومن أعرض عن دينه تخبَّط في دياجير الظلام – صلى الله عليه وسلم – أزكى صلاة وأتمَّ سلام، ورضي الله عن آله وأصحابه ومن اقتدى بهم على مرور الأيام.

أما بعد:

فيا معاشر الفضلاء أحمد الله – عز وجل – إليكم أن جعل اجتماعنا في مدينة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى ذكره. وهذه نعمة عظمى يجب علينا أن نذكرها وأن نشكرها؛ فإن القوم إذا اجتمعوا في مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على طلب العلم رجي لهم أن يقوموا من مجلسهم بثواب عظيم، فيرجى لهم أن يقوموا من مجلسهم وقد نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده؛ ويرجى لهم أن يقوموا بالثواب العظيم الذي جعله الله – عز وجل – لطلب العلم؛ ويرجى لهم أن يقوموا من مجلسهم وقد فازوا بثواب الحج التام، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة؛ ويرجى لهم أن يقوموا من مجلسهم وقد فازوا بثواب الجهاد في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام.

فأسال الله – عز وجل – أن يكتب لي ولكم ما علمنا من فضل هذا المجلس ونحوه وما لم نعلم، وأن يزيدنا من فضله أضعافا مضاعفة، وأن يجعلنا من عباده المخلصين .

وأما القسم الثاني من درسنا فهو في شرح كتاب التوحيد.

كما تعلمون يا أهل التوحيد، وكما ذكرنا مرارا وتكرارا، فإن المسلم المحب لله – عز وجل–، المحب لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – يحب التوحيد، ويحب سماع التوحيد، ولا يمل من ذلك أبدا.

ونحن في شرحنا لهذا الكتاب، كتاب التوحيد، كنا قد فرغنا من شرح الباب الثاني، وهو باب (من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)، وبقي معنا أن نقرأ المسائل التي ذكرها الشيخ في آخر هذا الباب، ونعلق على ما يحتاج إلى تعليق.

قال المصنف – رحمه الله –:

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد[1].

الثانية: ما معنى تحقيقه[2].

---

(1) تقدم معنا يا إخوة، إن الناس في التوحيد مراتب في الدنيا ومراتب في الآخرة.

الناس في التوحيد مراتب منهم من يعمل بأصل التوحيد، ومنهم من يعمل بالتوحيد كله، أصله وكماله، ومنهم من يحقق التوحيد، ومنهم من يحقق كمال تحقيق التوحيد؛ وهم في الآخرة كذلك مراتب، على وفق مراتبهم في التوحيد في الدنيا تكون مراتبهم في الآخرة، كما تقدم معنا.

(2) وبيَّنّا معنى تحقيق التوحيد، وقلنا أن تحقيق التوحيد مرتبتان: – مرتبة كمال.

– ومرتبة تحقيق.

وبيّنا كيف يكون هذا وكيف يكون هذا، وقلنا باختصار:

- **كمال تحقيق التوحيد** هو **جمع خصال الخير بحسب الإمكان**: جمع خصال الخير **في الأفعال الواجبة والمستحبة بحسب الإمكان، وفي الترك، ترك المحرم والمكروه بحسب الإمكان.**
- وأن **تحقيق التوحيد** هو **جمع خصال الخير الواجبة** بفعل الواجبات، وترك المحرمات؛ ورأس الواجبات التوحيد، ورأس المحرمات الشرك.

الثالثة: ثناؤه – سبحانه – على إبراهيم بكونه ﴿لم يكُ مِن المشركِينَ﴾.(3)

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.(4)

---

(3) فلا بد من التوحيد ومن البراءة من الشرك، ثم لا بد من قدر زائد وهو أن لا يكون الموحد من المشركين؛ فلا يكون منهم بفعله، ولا يكون معهم بقلبه؛ لا يكون منهم بفعله فلا يكون من المشركين بالله، ولا يكون معهم بقلبه، بل يبرأ من الشرك وأهله.

(4) أي ثناؤه على المؤمنين المفلحين الذين هم أهل الجنة بسلامتهم من الشرك ﴿الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾[المؤمنون: 59].

فلا بد في الولي من أن يكون موحدا سالما من الشرك، لا يمكن أن يكون الولي تاركا للتوحيد أو لكمال التوحيد، أو يكون مشركا بالله، فيرضى أن يدعى من دون الله.

إذا وجدت الرجل يدعى من دون الله، ويستغاث به من دون الله وهو راض، ويأخذ من الناس الأموال مقابل هذا فاعلم يقينا أنه ليس وليا لله، لا يمكن أن يكون ولي الله مشركا بالله أي إشراك.

وهذه مسألة مهمة فإن كثيرا من المسلمين يغترُّون ببعض دعاة الولاية وهم ليسوا أهلا لها بمجرد أن يشيع عن طريق أتباعه أنه حصل له من الخوارق كذا، وحصل له كذا؛ يتعلق به بعض الناس، مع أنه يُرى لا يصلي، ما يصلي مع الناس، ولا تجد عليه آثار الطهارة والنظافة، ويرضى بأن يشرك بالله به، فيكون شريكا مع الله، فيطلب منه الولد وهو يهز رأسه، ويطلب منه الرزق؛ ويقولون هذا ولي، ويفعل المعاصي ويقولون هذا ولي.

وسبحان الله! الشيطان حتى يحصّن أولياءه أورد لهم شيئا حتى إذا رأى الناس من هذا الذي يقال إنه ولي ما يخالف الدين ما ينزِعون عنه الولاية، قالوا: (إن الكريم إذا وهب ما سلب)؛ إن الكريم الذي هو الله، إذا وهب الولاية ما سلب؛ حتى لو رأيته يزني (الكريم إذا وهب ما سلب)،

أو رأيته يشرك (الكريم إذا وهب ما سلب)؛ حتى يحصّن الشيطان أولياءه. وهذا — والله – كذب، الإنسان قد يوحد الله ثم يرتد، والعياذ بالله.

إذن لا يمكن أن يكون ولي الله مشركا بالله، ولا يمكن أن يكون ولي الله مجافيا بسنة نبي الله – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن رأس الأولياء محمد – صلى الله عليه وسلم –، ولا يمكن لولي إلا أن يتابع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.(5)

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.(6)

السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.(7)

---

(5) ينبغي أن يقول ترك الاسترقاء؛ لأنه قد تقدم معنا أنهم لا يسترقون.

وليس المراد ترك الرقية مطلقا، فإن رقية الإنسان لنفسه ليست مكروهة.

والنبي – صلى الله عليه وسلم، كما قلنا – رقاه جبريل، ورقى النبي – صلى الله عليه وسلم – وكان الصحابة يرقون؛ ولكن المقصود ترك الاسترقاء.

وقلنا – يا إخوة – المقصود هنا ترك الاسترقاء من غير حاجة شديدة.

أما إذا وجدت الحاجة الشديدة فلا بأس أن يطلب الإنسان الرقية، إنسان أصابته عين، وأصبح ما يستطيع يقرأ القرآن، قرأ على نفسه ما ارتفعت العين، يجوز بلا حرج، ولا يخرج من السبعين ألفا إن شاء الله إن جاء بالقيود.

وكذلك الكي من كمال تحقيق التوحيد أن يترك الإنسان الكي من غير حاجة شديدة.

(6) الجامع لتلك الخصال المحمودة المذكورة أنهم على ربهم يتوكلون؛ فالمناط هو تعليق القلب بالله، أن تعلق قلبك بالله على كل الأحوال؛ كنت في الضيق تُعلِّق قلبك بالله، كنت في السعة تُعلق قلبك بالله، وتنقاد لله – سبحانه وتعالى –.

(7) لما ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم قام، ولم يقل لهم شيئا، بدأ الصحابة يبحثون عمن ينال هذه المزية، فعلموا أنه إنما تنال هذه المزية بالعمل؛ فبعضهم قال: (نحن الذين آمنَّا بالله وصدقنا رسول الله)، فنحن هؤلاء، وبعضهم قال: (بل أولادنا الذين نشئوا في الإسلام، أما نحن فقد نشأنا في الجاهلية).

فكان من عمق علم الصحابة أنهم علموا أن هذه المنزلة إنما تنال بالعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.[8]

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.[9]

---

(8) حرصهم على الخير؛ لأن خوضهم في هؤلاء إنما هو لينالوا هذه المنزلة، فهم حريصون على الخير.

(9) هذه الأمة أفضل الأمم، ويوم القيامة تظهر كرامتها.

أما بالكمية فهي أكثر الأمم يوم القيامة لا تدانيها إلا أمة موسى – عليه السلام –، وهي أقل بكثير من أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – يوم القيامة تسد الأفق من الأمام، وتسد الأفق من اليمين، وتسد الأفق من الشمال، فهي أكثر الأمم يوم القيامة؛ وأما بالكيفية فهو أن منها سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، بل سيكون مع كل ألف سبعون ألفا، فيكون المجموع – كما قلنا – أربع مليون وتسعمائة ألف، ثم زد عليهم سبعين ألفا، فيصبح أربع مليون وتسعة وسبعين ألفا، ثم يكرم الكريم أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – بعدد كثير يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب لا يعلم قدره إلا الله؛ لأنها ثلاثة حَثَيَّات من حَثَيَّات ربنا – سبحانه وتعالى –.

فهذه الأمة أكرم الأمم يوم القيامة عددا من جهة كثرتها، وكيفية من جهة دخول عدد كثير منها الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ بل زد على ذلك أن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم — نصف أهل الجنة، كما رجى النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأصحابه: ((إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة – يعني أمتي – فقالوا: (الله أكبر)، قال: (إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة) قالوا: (الله اكبر)، قال: (إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة)).

وهذه كرامة لأمة محمد – صلى الله عليه وسلم –.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.(10)

الحادية عشر: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.(11)

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.(12)

---

(10) لأنهم مُيِّزوا في الأمم بأنهم سواد عظيم؛ وهذا يدل على كثرة من اتبع موسى – عليه السلام –.

(11) وهذا لشرفه – صلى الله عليه وسلم –. فمقام النبي – صلى الله عليه وسلم – مقام عظيم؛ فالله عرض عليه الأمم، كما قلنا على الراجح، عرض عليه الأمم في الإسراء على هيئتها يوم القيامة، وعرض الأمم عليه في المنام ليلة يوم من أيام الحج؛ وذلك تسلية له – صلى الله عليه وسلم –، وبشارة له، ومن ثم تسلية للأمة، وبشارة للأمة.

يا عبد الله، لا تحتقرنَّ الأمة اليوم؛ ولكن اسعى على أن تكون موحدا، وعلى أن تنشر التوحيد.

أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – أكرم الأمم إن وحدت الله؛ إنما نخشى على هذه الأمة من تركها للتوحيد. ولذلك يا إخوة، أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – لو تمسكت بالتوحيد لكانت خير الأمم؛ فلا تحقرن هذه الأمة اليوم، وتقول سبقتها الأمم ووو... خف فقط عليها من ترك التوحيد، فاجتهد في أن تكون موحدا أنت بنفسك، وادع الناس إلى التوحيد؛ فإن حصل ذلك فو الله إن هذه الأمة خير الأمم على الإطلاق.

(12) لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما عُرضت عليه الأمم رأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل، والرجلان، والنبي ليس معه أحد؛ فلو كانوا يأتون مختلطين لما ميزهم النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لكن دلَّ ذلك على أن كل أمة تأتي مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.[13]

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتي وحده.[14]

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.[15]

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة.[16]

---

(13) الله المستعان! نعم، النبي يأتي ومعه عشرة فقط من قومه اتبعوه، ويأتي ومعه رجل واحد اتبعه وصدَّق به فقط، ويأتي ومعه الرجلان، ويأتي النبي وليس معه أحد، ما أحد استجاب له.

(14) يأتي النبي وحده لم يستجب له أحد في الدنيا، فيأتي يوم القيامة وحده.

(15) إذا علمنا أن أنبياء الله – عليهم السلام– الذين استجاب لهم قلة، وأن النبي قد يأتي ولم يستجب له أحد، فإن هذا يجعلنا لا نغتر بالكثرة، ولا نزهد في القلة؛ وإنما ننظر إلى الحق، فمن كان على الحق فهو أمة وإن كان واحدا؛ ما نغتر بكثرة الناس، ونقول هؤلاء على الحق؛ نجد مسجدهم ممتلئ، الناس يصلون في الشوارع، هؤلاء على الحق، وهؤلاء ثلاث صفوف إن كثروا إذن هؤلاء على الباطل.

لا، العبرة بالحق؛ فمن تمسك بالحق، فوجدت الذي عنده قال الله، قال رسوله – صلى الله عليه وسلم –، قال الصحابة، يقرر ما قرره الأئمة – فهؤلاء أهل الحق، وإن كانوا قلة.

فإذا علمت أن النبي يبعث إلى قومه فلا يجيبه أحد، إذن الكثرة الكاثرة كفروا به؛ فكيف تجعل الكثرة دليلا على الحق؟

(16) والصحيح أن الرقية مرخص فيها ما لم تكن شركا، وهي نافعة من كل داء.

فالرقية مأذون فيها ما لم تكن شركا بالله؛ لكن قلنا أنها أنفع في العين واللدغة

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: ((قد أحسن من انتهى إلى ما سمع))، ولكن كذا وكذا... فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.[17]

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.[18]

التاسعة عشرة: قوله– صلى الله عليه وسلم -: ((أنت منهم)) علم من أعلام النبوة.[19]

العشرون: فضيلة عكاشة.[20]

---

(17) لأن سعيدا لم ير التعارض بين حديث بريدة وعمران وحديث ابن عباس– رضي الله عنهما –، بل رأى أنه يمكن أن يجمع بينهما؛ ولذلك لم يعب عليه.

(18) ما كان السلف يحرصون على أن يمدحوا بما ليس فيهم، بل كانوا يحرصون على أن يخفوا ما فيهم.

كان السلف يحرص الواحد منهم على أن يخفي ما فيه من الخير إلا أن يكون مأمورا بإظهاره؛ ومن باب أولى أنهم كانوا لا يحرصون على أن يمدحوا بما ليس فيهم، بل لو خشي أحدهم أن يفهم أن فيه شيء ليس فيه فإنه ينفي ذلك عن نفسه، كما مر معنا في هذا الحديث .

(19) قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لعكاشة – رضي الله عنه -: (**أنت منهم**) علم من أعلام النبوة؛ لأن – كما قلنا – عكاشة – رضي الله عنه – عاش على التوحيد، ومات شهيدا؛ فهذا علم من أعلام النبوة.

(20) ونشهد لعكاشة بعينه أنه من أهل الجنة لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– شهد له بذلك.

الحادية والعشرون: استعمال المعاريض.[21]

الثانية والعشرون: حسن خلقه – صلى الله عليه وسلم –.[22]

---

(21) استعمال المعاريض.

✓ ما هي المعاريض؟

المعاريض: أن تعبر عن المقصود بلفظ قد يفهم منه شيء آخر.

واستعمال المعاريض عند الحاجة لا بأس به؛ ثبت عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال : ((إن في المعاريض كفاية للمسلم عن الكذب))، وعن عمران قال: ((إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب))، وهذا ثابت موقوفا على بعض الصحابة؛ لكنه لم يثبت مرفوعا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –، لكن استعمل النبي – صلى الله عليه وسلم – المعاريض. ولذلك لما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – في مسير، وكان معه غلام يحدو للإبل، وكان صوته نديا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((يا أنجشة رفقا بالقوارير))، وفي رواية: ((لا تكسر القوارير))؛ فعرض النبي – صلى الله عليه وسلم – هنا، قال: ((لا تكسر القوارير))؛ والقوارير هنا هن النساء.

وحدثت قصة في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قوما قدموا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ومعهم وائل بن حجر، فأخذه عدو له، فتحرج القوم أن يحلفوا، فقام سويد منهم –رضي الله عنه– وأرضاه وقال: ((والله إنه أخي)). فلما حلف سويد أنه أخوه تركه الرجل؛ لأنه يريد وائلا، وهو لا يعرف وائل؛ لكن لما قال له سويد أنه أخي ظن أنه ليس وائلا. فلما قدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخبروه قال: ((أنت أبرهم وأصدقهم، المسلم أخ المسلم)).

فعرض هنا قال: (أخي)؛ أي في الإسلام، والرجل هناك ظن أنه أخوه في النسب.

وأبو بكر الصديق – رضي الله عنه – لما هاجر مع النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكان أبو بكر شيخا يعرف، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يعرف؛ أي في الطريق، فإذا سئل

أبو بكر عنه قال: ((هذا رجل يهديني السبيل))، فالسامع يظن أنه دليل يدله على الطريق، وهو يقصد أنه يهديه صراط الله المستقيم، ويبين له صراط الله المستقيم؛ فهذه المعاريض.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- هنا استعمل المعاريض؛ لأنه قال: ((سبقك بها عكاشة)) ولم يقل للرجل: (لست منهم)؛ لكن قال: ((سبقك بها عكاشة))؛ فعرض.

(22) الله أكبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أحسن الناس أخلاقا، خلقه عظيم – صلى الله عليه وسلم-. وهو هنا الشاهد أنه لم يرد أن يواجه الرجل بقوله: (لست منهم)، فعبر بتعبير يكفي، فقال: (سبقك بها عكاشة)، وهذا من حسن خلقه – صلى الله عليه وسلم –.

ولا شك أن من حسن الخلق ألا تباشر الإنسان بما يكره، وأن تتلطف في إيصال الخبر الذي يكرهه إليه.

باب الخوف من الشرك(1)

وقول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(2) [النساء: 48]

---

(1) نعم انتبهوا – يا إخوة – لا زلنا في كليات التوحيد.

الشيخ – رحمه الله – بدأ بالترغيب الذي يقود المؤمن إلى ما ينبغي في التوحيد، فبيَّن فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وبيَّن أن من الموحدين من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذا يقتضي منا أن نحب التوحيد، وأن نحب أهل التوحيد، وأن نتعلم التوحيد، وأن نعمل بالتوحيد؛ فجاء بهذا الباب (باب الخوف من الشرك)؛ لأن من عَلِم فضل التوحيد كان التوحيد عنده كنزا عظيما، فيخاف عليه.

فمِمَّا ينبغي على المؤمن تجاه التوحيد أن يخاف من ضده، فذكر الشيخ هذا الباب، فمقصود الباب بيان أن الموحد مع توحيده، وحبه للتوحيد، وبراءته من الشرك وأهله يخاف من الشرك بأنواعه، فيخاف أن يشرك بالله شيئا، وذلك لعظم التوحيد عند المؤمن.

(2) هذه الآية فيها بيان أن الشرك أعظم الذنوب على الإطلاق، وأكبر الكبائر على الإطلاق، وأقبح ما عصي الله به على الإطلاق؛ لأن ربنا الرحيم الغفور يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾.

← «أن» والفعل: مؤولة بالمصدر؛ أي لا يغفر الإشراك به؛ وذلك لعظم قبح هذا الذنب.

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾: ويغفر ما دون ذلك من الذنوب لمن يشاء، وهم أهل التوحيد.

قال المفسرون – يا إخوة انتبهوا لهذا الاستثناء هنا لأهل التوحيد -: ومعنى هذا أن الله لا يغفر الإشراك به، ولا يغفر للمشرك به ذنبا، بل يؤاخذ المشرك بجميع ذنوبه، وإنما يغفر الله ما دون الشرك لأهل التوحيد؛ فمن كان موحدا، وأذنب فإن الله يغفر ذنبه إن شاء.

وهذا يدل على **أن مرتكب الكبيرة من الموحدين تحت المشيئة**؛ لأن الله – عز وجل – قال:﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، (ما دون ذلك): منه الكبائر. ولذا جاء عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: ((ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر - لأن نصوص الوعيد في الكبائر عظيمة – حتى سمعنا من نبينا – صلى الله عليه وسلم –: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وإني أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة)). فاجتمعت الآية والحديث؛ الآية تدل على أن الله قد يغفر لصاحب الكبيرة الموحد إن شاء ذلك – سبحانه وتعالى –، والحديث يدل على أن الشفاعة تنفع أهل الكبائر بإذن الله؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((فإني أخَّرت الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة)). قال ابن عمر – رضي الله عنهما –: ((فأمسكنا عن كثير مما كان في أنفسنا))؛ يعني من أنهم كانوا لا يستغفرون لأهل الكبائر، وهذا رواه البزار، وأبو يعلى، وابن أبي عاصم، وصححه الألباني.

فجاءت هذه الآية على كل نصوص الوعيد في الكبائر، وأن مرتكب الكبيرة يدخل تحت المشيئة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، قلنا لأن الشرك إثم عظيم.

هنا مسألة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾؛ أي لا يغفر الإشراك به، وسيأتينا إن شاء الله أن الإشراك نوعان أكبر وأصغر:

وقد اتفق العلماء على أن من مات مشركا بالله شركا أكبر لا يغفر له، ولا يدخل الجنة أبدا.

واختلفوا فيمن مات وهو يشرك بالله شركا أصغر، ولم يتب من ذلك، كان طوال عمره يقول: (والنبي)، وهذا كما سيأتينا من الشرك الأصغر ليس من الشرك الأكبر، أو يقول: (والأمانة) أو (ورأس أمي) أو يتطير حتى مات؛ فهل يغفر له؟ اختلف العلماء في ذلك:

– فقال بعض أهل العلم: لا يغفر له، وإنما يدخل تحت الموازنة، فإن رجحت حسناته دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته دخل النار. لماذا؟ قالوا لأن الله قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾، وهذا شرك.

- وذهب بعض أهل العلم إلى أنه يدخل تحت المشيئة؛ إن شاء غفر الله له، وإن شاء عذبه؛ وهذا هو الراجح.

✓ ما الدليل على هذا الرجحان؟

الدليل على هذا الرجحان:

- الوجه الأول: أنا وجدنا أن أكثر النصوص التي ورد فيها الشرك عند الإطلاق يراد به الشرك الأكبر، كما قال الله - عز وجل -:﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: 78]، منزله ومآله النار، وقد أجمع العلماء على أن الشرك هنا هو الشرك الأكبر.
- والوجه الثاني: أنا وجدنا أن الشرك الأصغر يخالف الشرك الأكبر في كثير من الأحكام منها:

- أن الشرك الأكبر يخرج من الملة، أما الشرك الأصغر فلا يخرج من الملة؛ هذا الذي يحلف بغير الله مسلم لا يخرج من ملة الإسلام.
- أن الشرك الأكبر موجب للخلود في النار لمن مات عليه؛ أما الشرك الأصغر فليس بموجب للخلود في النار لمن مات عليه، حتى لو دخل النار فإنه يخرج منها.
- أن الشرك الأكبر لا يدخل تحت الموازنة؛ المشرك شركا أكبر ليس له عمل صالح حتى يدخل تحت الموازنة، بخلاف الشرك الأصغر فإنه يدخل تحت الموازنة بالاتفاق. حتى الذين يقولون أنه لا يغفر، لا يدخل تحت المشيئة، يقولون يوضع في الميزان.

⇦ إذن وجدنا أن الشرك الأصغر يخالف الشرك الأكبر في أكثر أحكامه، ولم تبق إلا هذه المسألة، وهذه المسألة محتملة بالنسبة للآية، فلَأَن تلحق ببقية المسائل أولى.

ولذلك الصحيح: أن الشرك الأصغر يدخل تحت المشيئة.

❖ فإن قال لي قائل أن الله – عز وجل – قال هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال في الآية الأخرى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:53]، فهنا قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، ولم يستثنِ شيئا.

⮰ قلنا لا تعارض بين الآيتين فإن الآية الثانية فيمن تاب؛ فمعنى الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ مهما فعلتم من الذنوب ولو أشركتم لا تقنطوا من رحمة الله، بل توبوا إلى الله فإن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب، ولو كان مشركا بالله قبل التوبة فتاب، يغفر الله ذنبه، ويبدل سيئاته حسنات.

أما هذه الآية فهي فيمن توفى بذنبه فلم يتب ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾؛ فمن توفى مشركا بالله شركا أكبر فمات على الشرك الأكبر، فإن الله لا يغفر ذنبه لا الشرك ولا غير الشرك من الذنوب ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

ما مناسبة هذه الآية للخوف من الشرك؟

مناسبة هذه الآية للخوف من الشرك أن المسلم إذا علم أن الله لا يغفر الشرك لمن مات عليه، فإنه يخاف من ذلك لأن المسلم يريد مغفرة الله، ويريد عفو الله.

وقال الخليل – عليه السلام –: ﴿وَاجْنُبْنِي(3) وَبَنِيَّ(4) أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(5)﴾[إبراهيم: 35]

---

(3) من دعاء أبينا إبراهيم – عليه السلام – أنه قال: ﴿وَاجْنُبْنِي﴾.

قال بعض أهل العلم: معنى (اجنبني): – اعصمني.

– احفظني.

– باعد بيني وبين عبادة الاصنام، فاجعلني في جانب

وهي في جانب.

(4) قال بعض أهل العلم المراد ببنيه هنا: من تناسل منه نسله.

وهذا ليس صحيحا؛ لأنه وقع الشرك في نسل إبراهيم – عليه السلام – في الأمم بعد إبراهيم – عليه السلام–؛ ولكن المراد هنا على الصواب نسله من صلبه، ذريته من صلبه، وليست الأمم؛ فإن المعلوم أن من كفار قريش من ينتسب إلى إبراهيم – عليه السلام –؛ لكنه ليس من صلبه، فالمقصود بنوه من صلبه.

قال بعض أهل العلم أن: لإبراهيم–عليه السلام– ثمانية أبناء، وقال بعض أهل العلم: بل له ابنان، ومن تناسل منهما: أبناؤه، وأبناء أبنائه، وأبناء أبناء أبنائه؛ وهؤلاء هم الذين استجيب لإبراهيم فيهم.

إذن أهل العلم لهم قولان :

– القول الأول: أنهم كل من كان بعد إبراهيم – عليه السلام –. وهنا يقولون لم يستجب الله لإبراهيم – عليه السلام – هذا الدعاء؛ لأن ممن ينتسب إلى إبراهيم من أشرك بالله.

– ومنهم من يقول هم بنوه من صلبه؛ أي بنوه، وبنو بنيه، وبنو بني بنيه، وهؤلاء لم يكن منهم مشرك.

(5) الأصنام جمع صنم.

الصنم: مما عبد من دون الله، **وكان مصورا على هيئة صورة**، سواء صورة بوجه أو بدون وجه، ما صور وعبد من دون الله فهو صنم.

والوثن: ما عبد من دون الله **ولو لم يكن على هيئة صورة**؛ مثل القبر، القبر إذا عبد من دون الله فهو وثن.

والشاهد من ذلك أن إبراهيم الخليل، خليل الله، كان يخاف من الشرك؛ فإذا كان إبراهيم – عليه السلام – كان يخاف من الشرك فمن باب أولى نحن أن نخاف من الشرك.

فلذلك قال إبراهيم التيمي – رحمه الله –: «من يأمن البلاء بعد إبراهيم حين يقول: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾».

ولذلك المؤمن الناصح لنفسه دائما يكون حذرا من المعاصي، خائفا من المعاصي لا يغتر بصلاحه، ولا يغتر بعلمه؛ بل يكون دائما خائفا من المعاصي، ورأس ذلك أن يكون خائفا من الشرك أبدا ما دام حيا.

وفي الحديث: ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء.)) رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي.[6]

---

(6) في هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي، وحسَّن إسناده الألباني فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (**أخوف ما أخاف عليكم** – يا معاشر الموحدين؛ لأن الخطاب للصحابة – **الشرك الأصغر، فسئل عنه، فقال: الرياء**).

جاء أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)، قالوا: (وما الشرك الأصغر)، قال: (الرياء))).

يقول الله –عز وجل–لأصحاب ذلك، يوم القيامة إذا جازى الناس: ((اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)) رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

وهذا الشرك أيضا سماه النبي – صلى الله عليه وسلم –: **الشرك الخفي**؛ لأنه – يا إخوة– يتسلل إلى القلوب تسللا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟)، قالوا: (بلى يا رسول الله)، قال: (الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل))). رواه ابن ماجة، والبيهقي، وحسنه الألباني.

وسماه النبي – صلى الله عليه وسلم –: **شرك السرائر**؛ لأنه يقع في القلوب، فقد خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (((يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر)، قالوا: (وما شرك السرائر يا رسول الله؟) قال: (يقوم الرجل فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه))). رواه ابن خزيمة، وحسنه الألباني.

عندنا هنا أمور:

- الأمر الأول: الشرك الأصغر هل هو الرياء؟

نقول: **لا، الشرك الأصغر أعم من الرياء**، فمن الشرك الأصغر الحلف بغير الله، ومن الشرك الأصغر التطير، ومن الشرك الأصغر الرياء؛ والرياء من أخبث أنواع الشرك الأصغر، ولذلك فسر هنا في الحديث الشرك الأصغر بالرياء؛ لأنه من أخبث أنواع الشرك الأصغر، فكان أخوف ما يخافه النبي – صلى الله عليه وسلم – على الأمة الرياء، ولذلك يقول ابن القيم – رحمه الله –: ((فذلك البحر الذي لا ساحل له – أي: الرياء – وقلَّ من ينجو منه أحد)).

- إذن ما معنى الشرك الأصغر؟

هو كل ما سمي في النصوص شركا ولم يبلغ حد الشرك الأكبر، أو كان ذريعة موصلة إلى الشرك الأكبر يقينا – يعني من سلكه لا بد أن يصل إلى الشرك الأكبر – **أو غلبة ظن**.

- كيف نعرف أن ما سمي في النصوص شركا يكون شركا أصغر دون الشرك الأكبر؟

ذكر العلماء لهذا علامات منها:

– النص على أنه شرك أصغر، مثال ذلك: هذا الحديث الذي معنا: ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر))، وفسره النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه الرياء.

– ومنها: أن يأتي مُنَكّرا غير معرّف فيقال شرك فهنا يكون المراد به الشرك الأصغر، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إن الرقى، والتمائم، والتولة شرك))؛ وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله.

– ومنها أن يظهر بالقرائن أن المقصود من الشرك هنا الشرك الأصغر، مثل أن تقع واقعة فيصفها النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنها شرك، ولا يأمر فاعليها بالدخول في الإسلام، مثلا – كما سيأتينا إن شاء الله – في مسألة ما يتعلق بالأنواء.

– ومنها أن يظهر أن المقصود أنها من أخلاق الكفار فلا يكون ذلك شركا أكبر.

– ومنها فهم الصحابة – رضوان الله عليهم –، وستأتينا أمثلة إن شاء الله في هذا الكتاب.

- كيف يدفع الرياء مادام أنه خفي؟

قال العلماء: يدفع المسلم الرياء إن كان ظاهرا بالتخلص منه، وإن كان خفيا، لا يظهر له، بالاستعاذة بالله منه؛ يعني الإنسان قد يرى الرياء في نفسه يكبر، وهو يرائي الناس، فيدفع هذا بمجاهدة نفسه، والتخلص؛ وقد يكون خفيا فيتسلل، ولا يشعر به الإنسان، فيكون التخلص منه بالاستعاذة منه؛ فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل). فقيل له: (وكيف نتقيه، وهو أخفى من دبيب النمل؟)، فقال – صلى الله عليه وسلم –: (قولوا: **اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**)). وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني، وغيره.

إذن كيف يدفع الإنسان الرياء؟ إن كان ظاهرا يجده ويعرفه، بالمجاهدة والتخلص؛ وإن كان خفيا فبالدعاء، فيستعيذ بالله – عز وجل – من أن يشرك به شيئا وهو يعلم، ويستغفره لما لا يعلم.

- إذا كان ذلك كذلك، فما أثر الرياء على الأعمال؟

الرياء الذي هو من الشرك الأصغر وضابطه أن لا يغلب على عبادة الإنسان، وإنما يعرض؛ بمعنى أن الإنسان يعبد الله؛ لكن يطرأ عليه أحيانا أنه يرائي الناس، فيظهر العمل الصالح أمام الناس ليمدح على ذلك؛ أما إذا كان – والعياذ بالله – غالبا على عبادة الإنسان، فهو لا يصلي إلا رياء، ولا يصوم إلا رياء، ولا يحج إلا رياء، ولا يتصدق إلا رياء؛ فهذا عابد للناس ليس عابد لله، هذا حال المنافقين، والعياذ بالله.

إذن الرياء الذي هو من الشرك الأصغر ما أثره في عمل الإنسان؟

الرياء إما أن يقع في عمل متصل، وإما أن يقع في عمل منفصل:

- فإن وقع في **عمل يتصل** ما مثاله؟ أن يقع في الصلاة، الصلاة لا تتجزأ، العمل متصل من أوله إلى آخره، تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم.

– فإن وقع في الأصل فإن **العمل لا ينعقد أصلا**، إنسان – والعياذ بالله – دخل المسجد، فلما دخل المسجد وإذا بالشيخ في المسجد أو الأمير في المسجد، فكبَّر،

وأظهر حسن الصلاة أمام الشيخ، أو أمام الأمير، أو أمام هذا المعظم، كبَّر مظهرا حسن صلاته، مرائيا لهذا الأمير عند التكبير؛ هذا ما دخل في الصلاة، ما انعقدت الصلاة.

✓ ماذا يصنع من دخل في الصلاة مرائيا، ثم أثناء الصلاة عافاه الله من هذا الرياء؟

يجب أن يبدأ الصلاة من الأول، ما يصلح أن يستمر؛ لأن الصلاة ما انعقدت، مثلا: كبر، وهو مرائي، وقرأ ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وقرأ يرائي الشيخ، يرائي الأمير، يرائي المعظم، بعدما قال: ﴿ولا الضالين﴾ جاءه ما نبهه، وقال: أنت قل اهدنا الصراط المستقيم وأنت على غير صراط مستقيم؛ قال: أعوذ بالله، أستغفر الله، ترك الرياء. هل يستمر في صلاته؟ لو استمر في صلاته ما صحت، ماذا يفعل؟ يبدأ من جديد (الله أكبر) مخلصا لله، يبدأ مخلصا لله من جديد.

إذن إذا وقع الرياء في عمل متصل، ووقع في أصل العمل، فإن العمل لم ينعقد أصلا.

- أما إذا لم يقع في أصل العمل؛ ولكنه طرأ أثناء العمل: يعني كبَّر مخلصا لله، معه اثنان يصليان خلفه من إخوانه وزملائه، كبَّر (الله أكبر) ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ... ﴿ولا الضالين﴾، فإذا به جَمْع خلفه، (آمين) جاءه الشيطان، فبدأ يقرأ، وعرض الرياء أثناء العمل؛ **فهنا إن دفعه أثناء الصلاة صحت صلاته**، صلاته صحيحة، ولا ينقص أجره؛ لأنه إذا دفعه قد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فمن بدأ مخلصا، ثم عرض له الرياء، ثم دفعه بقصد إرادة، وسلَّم مخلصا، فصلاته صحيحة، ولا ينقص ذلك من أجره؛ لأنه تائب. أما إن عرض له الرياء في أثناء العمل، واستمر إلى أن فرغ منه، ما دفعه، **استسلم له فالصحيح من أقوال أهل العلم أن عمله باطل**؛ يعني إنسان يصلي مع الجماعة، وكان مخلصا لله، فجاء به واحد يريد أن يخطب ابنته، صفَّ بجواره، فلما صفَّ بجواره راءاه حتى يرى أنه ما شاء الله من عباد الله الصالحين، واستمر مرائيا إلى أن قال: (السلام عليكم ورحمة

الله، السلام عليكم ورحمة الله)؛ بطلت صلاته، ويجب عليه أن يأتي بهذه الصلاة؛ لأنه ما أدى الفرض، يجب عليه أن يأتي بهذه الصلاة؛ هذا العمل المتصل.

- أما إن كان **العمل منفصلا**، ينفصل بعضه عن بعض، فهنا يبطل ما يصيبه الرياء فقط.

يعني مثلا: إنسان عنده ألف ريال، يريد أن يتصدق بها، وقسمها مائة بمائة، فجاء إلى فقير، فأعطاه المائة لله، ثم جاء إلى الفقير الثاني، فأعطاه المائة وهو يلتفت من يراه، لما رأى الناس ينظرون، أعطاه المائة ليقول الناس كريم، ثم ذهب إلى الثالث، وأعطاه المائة؛ لأن الناس ينظرون إليه، وراءى الناس، ثم عاد إلى الإخلاص، وأكمل الألف.

يقول العلماء صحت منه الثمانمائة التي أخلص فيها، ولا يقبل منه ما تصدق به من المائتين هذه الذي راءى فيها، فإن الله لا يقبلها منه.

لو فرضنا أن هذا في الزكاة عليه، زكاة الفطر مثلا، عشر أصوع في بيته، فأخرج صاعا لله، وأخرج صاعا لله، وأخرج صاعا لله، في الصاع الرابع أخرجه رياء، ثم أكمل مخلصا؛ يبقى عليه صاع يجب عليه أن يخرجه؛ لأنه ما صح منه.

- إذا وقع الرياء بعد العمل:

عمِل مخلصا لله، مخلص لله تماما، بعدما عمله، فرغ وبعد ساعة، ساعتين، أو يوم سَمَّع بعمله: صلى لله في الليل، مخلص لله، وخشع لله؛ لكن لما التقى بأحد أصدقائه جاء الشيطان، وضحك عليه، وقال لزميلة – ليس من باب الخبر والتشجيع ونحو ذلك –: (البارح صليت صلاة ما شاء الله، خشعت فيها خشوعا عجيبا)، وهو يريد أن يسمِّع، لا يريد أن يشجِّع، ولا يريد أن يخبر والده بما يسره، لا، يريد أن يُسمِّع ليمدح؛ فهذا لا يبطل عمله، لكنه يأثم بالتسميع، فمن سمَّع سمَّع الله به، فيكون آثما بالتسميع، وإن كان البطلان لا يلحق العمل؛ لأنه تمَّ صحيحا.

هذا التحقيق من كلام أهل العلم.

- لو مدح الإنسان على العمل بدون قصد منه.

لم يرد أن يمدح؛ لكن مدحه الناس، هذا لا يضره، وهذا من عاجل بشرى المؤمن أن يثني الناس على الإنسان، هذا من عاجل بشرى المؤمن.

إذا كان ذلك كذلك فإنا نعرف لماذا أورد الشيخ هذا الحديث هنا في هذا الباب.

وذلك:

أولا: لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – خافه على الأمة خوفا شديدا، وإذا خافه النبي – صلى الله عليه وسلم – علينا، ألا نخاف نحن منه!؟

ثانيا: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سماه شركا، والمؤمن يخاف من الشرك.

ثالثا: أنه يحتمل أن يدخل تحت قول الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ لأنه شرك على قول، كما قلنا، وما دام أنه محتمل، فالمؤمن يخاف أن يفعل فعلا، فلا يغفر له، والعياذ بالله.

إذن هذا يدل على الخوف من الشرك، وعلى أن المؤمن يخاف من الشرك.

ولعلنا نقف عند هذا الموطن، ونكمل غدا إن شاء الله – عز وجل – ما تبقى من هذا الباب.

والله أعلم

وصلى الله على نبينا وسلم.